الباب الثانى

أمريكا والثورات العربية

أمريكا لم تكن تريد ثورة مصر

داليا مجاهد المدير التنفيذي لمركز جالوب أبو ظبي والمستشارة السابقة للرئيس الأمريكي باراك أوباما للشئون الاسلامية أعلنت أن أمريكا لم تكن تريد الثورة المصرية وأخذت وقتا طويلا حتي استوعبت أن الأمر خرج عن سيطرة مبارك وأصبح في ايدي الثوار وهنا اضطروا أن يؤيدوا الثوار، وحتي الآن يوجد كثيرون في أمريكا يرون أن مبارك كان وجوده أفضل لتحقيق المصالح الأمريكية.

وقالت أن مبارك كان يحقق للأمريكيين كل رغباتهم ، وأن إسرائيل نفسها كانت تري فيه أكثر من يحقق لها مصالحها ووصفوه بأنه أكثر شخص استطاعوا التعامل معه ،وعندما قامت الثورة وجد هؤلاء نظاما جديدا لا يستطيعون السيطرة عليه أو أن يكون لهم دور فيه ، فهم الآن لا يعرفون من الرئيس القادم بعد أن كانوا يتعاملون مع وضع مستقر تحت سيطرتهم بقيادة مبارك وابنه من بعده فالكثير من الأمريكيين كانوا علي يقين أن جمال سيخلف والده وبالتالي فالأمور لن تختلف.

أما ما حدث فكان مفاجأة للجميع ويجب أن نفهم أنه عندما ينادي المصريون بالديمقراطية فان هذا يقلق أمريكا وليس في مصلحة إسرائيل ، وعلي من يؤمن باعتقاد أن أمريكا وراء الثورات من أجل مصلحة إسرائيل أن يسأل نفسه هل كان مبارك يفعل أي شئ ضد

إسرائيل ؟ فالاسرائيليون أنفسهم أعترفوا أنه لم يكن هناك أحد يخدم مصالحهم أكثر منه ، حتي عمر سليمان كان معهم مئة بالمئة وضد حماس علي طول الخط ، وكلها مؤشرات تؤكد أنهم لم يرغبوا في التغيير وأنهم خائفون مما قد يحدث .

أن أداء الحكومة المصرية الانتقالية في هذه الظروف ليس سيئا ، وأنه من أخطر ما كان من الممكن ان تواجهه مصر هو الارهاب نظرا لعدم استقرار الوضع الأمني ولكن هذا لم يحدث.

إننا جميعا ندرك أن ما نمر به شئ صعب ولكن مقارنة بالتجارب الأخري فالثورة المصرية ناجحة نسبيا والأمور ستتحسن قريبا لأن مصر دولة ذات تاريخ وحضارة عمرها آلاف السنين.

وتبقى الأسئلة المعلقة والهامة جدا في نهاية المطاف :

ما هي حاجة أمريكا الملحة التي جعلتها تفضح توجهات عملائها المحليين الذين صاروا يتصرفون بعقلية أمريكية تفوق الأمريكان؟

لماذا تتخلى أمريكا عن عملائها الأوفياء بهذه الاعترافات المهمة من حيث رغبة أمريكا في تجاوز عملائها الكلاب المسعورة وتركهم لمصيرهم وفضحها لهم واضطرارها لكشف توجهاتهم علانية؟

هل مصلحة أمريكا في لملمة جراحها والإنسحاب خلف البحار والإنكفاء على الذات لحفظ البقية اليسيرة جدا الباقية من مقومات عملية

الإنعاش المركزي والتنفس الصناعي الحالي لها تبرر لها أمام عملائها تخليها عنهم بهذه السهولة وكيف سيتصرف عملاء أمريكا وهم يتأكدون يوما بعد يوم أن أمريكا لا تهتم بهم ولا تهتم لمصيرهم بالكلية أسئلة نترك لعملاء راند الكلاب المسعورة أن يجيبوا عليها في أنفسهم وفي تجمعاتهم الظلامية وأقبيتهم الوضيعة المستهلكة وإذا أرادوا المساعدة منا في تعريفهم بمصيرهم فيمكنهم النظر إلى موضعهم في كتاب الله وليدركوا أنهم أنما وجدوا أنفسهم فسيكون ذلك إختيارهم وتقريرهم الختامي لمصيرهم

صراع المصالح والمبادئ

تتهم الشعوب العربية واشنطن بالازدواج وتناقض المواقف، فمن ناحية كانت واشنطن تدعى دعمها للحريات والديمقراطية إلا أنها فى الواقع كانت تدعم حكومات تسلطية ديكتاتورية كما هى الحال بالنسبة لمصر وتونس وغيرهما من الدول العربية.

وقد حاولت إدارة الرئيس السابق جورج بوش الضغط على بعض الأنظمة العربية من أجل إحداث إصلاح ديمقراطى بعد أن أعلنت هذه الإدارة أن غياب الديمقراطية عن الشعوب العربية هو سبب تفريخ الإرهابيين، وأكدت كونداليزا رايس، وزيرة الخارجية السابقة ومستشارة الأمن القومى، مرارا أن الولايات المتحدة كانت تختار دعم

الاستبداد من أجل تحقيق الاستقرار إلا أنها لم تحصل عليه، لذا رأت إدارة بوش أن حصول العرب على الديمقراطية كفيل بحماية أمنها الوطنى، إلا أن فوز قوى إسلامية فى انتخابات فلسطين ومصر ولبنان والعراق أدى لتراجع واشنطن عن المناداة بالديمقراطية العربية.

ولم تمثل إدارة أوباما أى استثناء عما سبقها غير أنها تغلف موقفها بمزيد من الدبلوماسية العامة، فمن ناحية، تعلن أنها تؤيد مطالب الثوار فى الديمقراطية لكنها من ناحية ثانية لم تخاطر بعلاقاتها القوية مع نظم الحكم الاستبدادية فى الدول العربية، ولقد اتبع أوباما بوضوح هذا النمط فى حالتى تونس ومصر، فرغم مطالب الكثيرين من أوباما بأن يتخلى عن تحالفه مع النظام المصرى من أجل تحالف جديد مع الشعب المصرى، إلا أن إدارته انتظرت حتى تيقنت من رحيل مبارك، قبل أن تعلن وقوفها مع مطالب الشعب المصرى، والحال نفسه تكرر قبلا مع نظام بن على.

غير أن اتساع نطاق الثورات العربية وامتدادها لليمن والبحرين وسوريا وليبيا، أجبر واشنطن على ضرورة إعادة النظر فى موقفها، خاصة بعدما امتدت هذه الثورات والاحتجاجات إلى دول حليفة ومهمة مثل البحرين التى تحتضن الأسطول الخامس الأمريكى، واليمن باعتبار نظام على عبد الله صالح حليفا لها فى محاربة الإرهاب.

لهذه الأسباب يمكن تصنيف الإستراتيجية الأمريكية من الثورات العربية إلى ثلاث فئات:

الفئة الأولى: موجهة أساسا إلى مصر وتونس، حيث نجحت الثورتان هناك بطرق سلمية، رغم وقوع بعض الضحايا، وتم القضاء على النظم الحاكمة، والبدء فى اتخاذ خطوات تجاه بناء دولة ومجتمع ومؤسسات ديمقراطية، ففى هذه الحالة تحاول الولايات المتحدة من جهة دعم بناء الديمقراطية الناشئة فيهما، ومن جهة المحافظة على نفوذها التقليدى هناك، إلا أن أهم ما يميز أهداف واشنطن هو احتواء هذه النظم الديمقراطية الوليدة، وعدم السماح بتغيير كبير فى السياسات، والاكتفاء بتغيير بعض رموز نظم الحكم.

الفئة الثانية: موجهة لليبيا واليمن، إذ أقرت واشنطن فيهما بضرورة تغيير النظام بعدما بدا لها أن حاكمى الدولتين معمر القذافى وعلى عبد الله صالح قاما بعمليات عنف منظم وغير مبرر ضد شعبيهما، وأن بقاءهما أصبح جزءا من المشكلة وليس جزءا من الحل؛ فتدخلت واشنطن عسكريا ضد القذافى وضغطت بشدة من أجل تنحى عبد الله صالح.

الفئة الثالثة: دول لا تزال واشنطن تأمل فى الإبقاء على نظم الحكم فيها مع إدخال بعض الإصلاحات الضرورية، ومن هذه الدول: البحرين والمغرب والأردن، وركزت واشنطن فى حديثها مع هذه الدول على

أهمية التعامل بجدية مع الإصلاحات، وتجنب نشوب صراعات ونزاعات داخلية حادة.

تبقى سوريا غير الحليفة للولايات المتحدة، فتعتمد واشنطن فى التعامل مع الاحتجاجات الشعبية هناك على عدم المطالبة برحيل نظام بشار الأسد فى المرحلة الأولى والاكتفاء فقط بإدانة استخدام العنف، والتأكيد على حق السوريين فى التظاهر السلمى، مع انتظار تبدل موازين القوى بين السلطة والمحتجين.

لا شك في أن اندلاع ثورة الشعب المصري في٢٥ يناير كان مفاجأة للسياسة الأمريكية، وهذا ما يفسر التردد ـ والتخبط ـ الذي تعاملت به مع الثورة في أيامها الأولي صحيح أنه كان معروفا في دوائر السياسة الأمريكية أن نظم الحكم في العالم العربي تواجه أزمات وانتفاضات تعبر بها الشعوب عن الغضب والرفض للفساد المالي والأخلاقي والاستبداد السياسي والظلم الاجتماعي الذي يخنق الشعوب وصدرت تقارير عن مراكز الأبحاث الأمريكية المؤثرة في صنع القرار أشارت إلي احتمالات اندلاع ثورات شعبية وإلي حتمية تغيير أنظمة الحكم في عدد من الدول العربية وكانت مصر من بين هذه الدول، وقد تكررت تحذيرات المثقفين إلي خطورة استمرار الجمود ورفض التغيير السلمي وكان لدي دوائر السياسة الأمريكية أكثر من سيناريو لما يمكن أن يسفر عنه الغضب

الشعبي، وأول هذه السيناريوهات كان وصول الإسلاميين إلي الحكم باعتبارهم الأكثر تنظيما والتزاما بالسمع والطاعة لقادتهم والأقدر علي التأثير في شعوب مسلمة يسهل التأثير عليها باستخدام الدين، وكان الموقف الأمريكي ازاء هذا السيناريو هو ليس لدينا ما يقلق من الإسلاميين، فنحن علي اتصال بهم، والسياسة الأمريكية لديها من الوسائل ما يجعلها قادرة علي التعامل مع الثورات العربية وتوجيه مسارها بما يخدم مصالحها الاستراتيجية في المنطقة وفي العالم، وهناك نظرية أمريكية قديمة تفضل تعامل الولايات المتحدة مع أنظمة عسكرية أو دينية، لأن التفاوض مع أي منهما يكون مع شخص واحد، بيده القرار، أما في الأنظمة الديمقراطية فإن القرار ليس في يد واحدة وبالتالي فإن التفاوض لابد أن يصل إلي قبول عدة مؤسسات،(كما في الولايات المتحدة نفسها وكما في إسرائيل)، وقد قامت الإدارة الأمريكية بعدة محاولات لجس النبض خلال العام الماضي وبعدها توصلت السياسة الأمريكية غالبا إلي صيغة جديدة هي القبول بتحول ديمقراطي محدود في مصر مع ضمانات للحفاظ علي المصالح الأمريكية في المنطقة، وهي مصالح استراتيجية يمكن إعادة صياغتها ولا يمكن التنازل عنها، في هذا الإطار تمت الاتصالات مع الحزب الفائز بالأغلبية في الانتخابات وفي ضوئها أعلن حزب الأغلبية أن معاهدة السلام مع إسرائيل هي التزام دولة وليست التزام حزب بخلاف موقفه السابق المعارض

للمعاهدة ولاتفاقية الكويز وتصدير الغاز كما أعلنوا عدم اجراء تغييرات جوهرية في الدستور والقوانين الخاصة بالتعامل مع المستثمرين الأجانب، والاندماج في العولمة الاقتصادية، وأن السياسة الاقتصادية ستظل كما كانت الانفتاح الاقتصادي، واقتصاد السوق، وحرية الاستثمار الأجنبي، وعدم المساس بالحرية الشخصية للمواطنين والسياح، وعدم التمييز بين المواطنين علي أساس الدين الخ وكان الرئيس الأمريكي قد أعلن أنه يتمني أن يدرك الإخوان أهمية مصر واستمرار سياستها الخارجية وكانت هذه رسالة لقيت الاستجابة علي الفور ولكن ذلك لا يمنع وجود تيار قوي لدي المصريين يطالب بإعادة صياغة العلاقات المصرية الأمريكية علي أساس الصداقة والتعاون المتبادل والندية والمعاملة بالمثل واحترام السيادة والإرادة الوطنية، ولدي القوي الثورية اقتناع بأن السياسة الأمريكية تريد فرض التبعية بالقدر الممكن، ومهما يكن فإن السياسة المصرية بعد الثورة سوف تبتعد - بالقدر الممكن - عن بعض سياسات الولايات المتحدة في المنطقة، دون تغيير كبير في مستوي العلاقات الاستراتيجية بين البلدين، لأنه لا يمكن لإحداهما أن تستغني عن الأخري في ظل الأوضاع الاستراتيجية العالمية، وهذا ما يفسر النشاط الذي تموله الولايات المتحدة لضمان التأثير علي مسار الأحداث في مصر بحيث لا تخرج عن الحدود المقبولة أمريكيا، وهذا ما يفسر أيضا رفض الإدارة المصرية للتدخل الأمريكي

السافر عن طريق تمويل وإدارة بعض الجمعيات الأهلية والشخصيات العامة وهذا موضوع في يد القضاء ليقول فيه الكلمة الفصل وصياغة العلاقات بين مصر والولايات المتحدة لا تدخل فيها معاهدة السلام مع إسرائيل، وليس خافيا علي أحد أن إلغاء هذه المعاهدة يعني العداء للولايات المتحدة حامية إسرائيل وسيؤدي إلي صعوبات نحن في غني عنها، ولا يخفي علي أحد أن الولايات المتحدة تعتبر هذه المعاهدة مسألة بالغة الأهمية للأمن القومي الأمريكي، وأن الولايات المتحدة ملتزمة بأمن إسرائيل وحمايتها، ولابد أن يوضع هذا الالتزام في أية حسابات مستقبلية وقد يكون ممكنا التفاوض علي تعديل بعض بنودها، ولكن ليست المعاهدة هي كل شئ هناك قضايا أساسية تحتاج إلي حوار صريح مع الولايات المتحدة لإعادة التوازن إلي العلاقات بين البلدين، وهذا التوازن يتحقق باحترام الولايات المتحدة لحق مصر في السيادة واستقلال القرار، وإعادة العلاقات بين البلدين إلي مربع الصداقة والتعاون وتبادل المصالح، وهذا هو الضمان لاستمرار ونمو هذه العلاقات دون مشاكل ولابد أن يكون معلوما أن الوطنية المصرية لن تقبل أن تكون العلاقات إلا في هذا الإطار.

واشنطن وثورات العرب

حافظت الإدارات الأمريكية المتعاقبة، سواء جمهورية كانت أو ديمقراطية،على مجموعة ثابتة من الأهداف الإستراتيجية فى المنطقة العربية، واعتمدت فى سبيل تحقيق ذلك على عدة وسائل وآليات، من أهمها توفير الدعم لنظم سياسية تؤيد السياسات الأمريكية، وذلك بغض النظر عن درجة شرعية هذه الأنظمة أو مستوى شعبيتها وصنفت الدول العربية إلى معسكرين الاعتدال والممانعة؛ بحسب تأييد كل منهما للإستراتيجية الأمريكية وسياساتها فى المنطقة.

وقد مثلت الثورات العربية التى تشهدها العديد من الدول العربية حاليا صدمة لأركان الحكم فى واشنطن، وذلك لفجائية هذه الثورات وعدم القدرة على توقعها بهذه السرعة وبهذا الحكم والاتساع ولهذا لم يكن مستغربا وصف نيكولاس بيرنز، نائب وزير الخارجية الأسبق، ما يشهده الشرق الأوسط حاليا على أنه زلزال كبير، يراه الأهم منذ سقوط الإمبراطورية العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى، ونصح الإدارة بأن تعيد حساباتها بصورة كاملة بما يتلاءم مع هذه التغيرات الجارية.

المحاور والتغيير

نجحت الولايات المتحدة الأمريكية منذ سنوات في تقسيم العالم العربي والإسلامي إلى محاور الأول محور الاعتدال وتتزعمه كل من مصر والسعودية والأردن والإمارات والسلطة الفلسطينية، والثاني محور المقاومة والممانعة وتتزعمه إيران وسورية وحزب الله وحماس، ومحور ثالث على الحياد.

والمتتبع لخريطة التغيير السياسي في المنطقة يلاحظ أن الخاسر الأكبر هو محور الاعتدال، حيث شهدت السنوات الأخيرة توسّعا في محور الممانعة وأدواته، وحقق هذا المحور نجاحاً كبيراً في إدارة الملفات المعقدة في المنطقة، ونجح في إلحاق هزائم قاسية بإسرائيل، وعرقل مشاريع الهيمنة الأمريكية في السيطرة على مقدرات الأمة، ذلك النجاح دعم توجه الشباب الثائر لأن ينتفض في وجه أنظمته المنهزمة والمتواطئة مع المشروع الصهيو أمريكي، فسقطت كل من تونس ومصر، وليبيا والبعض الآخر ينتظر رياح التغيير، فارتبكت الولايات المتحدة في بادئ الأمر، لأن اللاعب الأبرز في معادلة التغيير هم الملتزمون المسلمون (لأنني أكره كلمة إسلاميون)، ولكن بعد ذلك عملت الولايات المتحدة على التعامل مع المتغيرات السياسية ضمن

استراتيجيتين:

١- الاحتواء حيث تحاول الولايات المتحدة احتواء الثورات الشعبية، فبدأت تغازل جماعة الإخوان المسلمين وبعض الأحزاب الأخرى، وتدعم رياح التغيير، وتظهر نفسها وكأنها الراعي الوحيد للتحولات الديمقراطية في العالم العربي، ولكن إرادة الشباب العربي الثائر، وصدق انتمائهم الوطني، وقوة عزيمتهم، هو ما أجبر الولايات المتحدة على أن تتنازل عن حلفائها من الزعماء العرب، ولكنها أدركت متأخرة أن الشعوب العربية هي شعوب واعية ولن تسمح لأحد باحتواء ثورتها، أو القفز عليها، وفي المقابل يدها ممدودة للجميع بما يحقق مصالح دولها وشعوبها.

٢- الإفشال الإيجابي فبعد أن شعرت الولايات المتحدة الأمريكية بأنه من الصعب احتواء الثورات العربية بشكل كامل، بدأت تنهج استراتيجية جديدة تقوم على الإفشال الإيجابي للثورات، والهدف العام لتلك الاستراتيجية هو منع قيام وحدة إسلامية في المنطقة العربية تحت قيادة الإخوان المسلمين؛ وتقوم تلك الاستراتيجية على أساس دعم ثورات مضادة في العديد من الدول التي تقع ضمن محور الممانعة والمقاومة، من أجل تغيير نظام الحكم فيها لنظم أكثر تفريطاً وانسجاماً مع الرؤية الأمريكية للشرق الأوسط، بطرق إيجابية تعتمد على التظاهر السلمي، وتتبنى مطالب عادلة، ويعبر عنها الشباب.

وتطابقت تلك الاستراتيجية مع رؤية العديد من الأيديولوجيات والفلسفات التي تستقي بعض الأحزاب والحركات العربية رؤيتها، وبدأت تلك الحركات والأحزاب تدعم تحركاً سياسياً شعبياً ضد تلك الأنظمة، مستثمرة النزعة الثورية التي يتسم بها الشباب العربي في تلك الأيام ومن المناطق المرشحة بقوة لحالة تغيير سياسي تدعمها الولايات المتحدة سورية ولبنان وإيران والسودان وقطاع غزة.

فاستراتيجية الإفشال الإيجابي تعيد إلى الذاكرة استراتيجية الفوضى الخلاقة التي دعت إليها كوندوليزا رايس، ولكنها سقطت في وجه صمود الشعب الفلسطيني، هذا الشعب حاله كحال العديد من شعوب المنطقة ينتظر لحظة بزوغ فجر الدولة الإسلامية، التي تعبر عن الوجه الحضاري للأمة العربية والإسلامية ومن هنا نرى كم هو حرص البعض على ضرب هذا المد الإسلامي الكبير بكل الوسائل والسبل، لكونه يمثل تهديد وجود إسرائيل وللمصالح الغربية.

أمريكا تستعيد مكانتها في المنطقة العربية

إن العداء الذي تبثه بعض الأحزاب المتطرفة والجماعات الإرهابية ضد دول الاتحاد الأوربي والولايات المتحدة على أساس أنها دول العالم الكافر وعلى الرغم من أغلب أطرها سياسية وعناصر تعيش على

مساعدتها داخل بلدانها أو المساعدات التي تقدمها للحكومات التي تعمل فيها تبقى قضية محل جدل حيث أن دول الاتحاد الأوربي والولايات المتحدة التي وقفت مع الثورات العربية وتخلت عن حلفائها من الحكام العرب دليل على رغبتها في دعم الطموح العربي لبناء أنظمة حضارية تحترم الإنسان وحقوقه ويقف في مقدمة العداء للعرب الولايات المتحدة لوقوفها أو مساعدتها في إزاحة انظمه فاسدة كما لا ينكر ضعف موقف السياسة الأمريكية بالنسبة للقضية الفلسطينية ويستغلها أعدائها لتأجيج الكره وزيادته وبدون قدر كبير من الضجة الإعلامية، لم تشهد الأشهر القليلة الماضية أي مظاهرات مناهضة للولايات المتحدة ولم يُحرَق العلم الأمريكي في مختلف أرجاء العالم العربي ويبدو أن العرب أصبحوا مستعدين على نحو متزايد لقبول سياسة إدارة أوباما في التعامل مع المنطقة بل وحتى الإشادة بها ولا شك أن العرب غير راضين عن الانحياز الأمريكي المستمر إلى إسرائيل.

إن إدارة أوباما تفتقر إلى الحزم في إدانة المعاملة التي يلقاها المحتجون على أيدي الأنظمة الحليفة للولايات المتحدة في البحرين واليمن، فإن موقف أمريكا من الثورات العربية كان موضع ترحيب والعرب، وخاصة الشباب منهم، والذين يشكلون غالبية سكان المنطقة،

يتطلعون إلى القوة العالمية التي تتمتع بها أمريكا عندما تُعلي القيم والأخلاق الديمقراطية وتتمسك بها.

الثورات العربية وأوباما

إن أول اختبار لزعامة أوباما الخارجية أصاب العديد من العرب بالإحباط فقد كان استخدام الولايات المتحدة لحق النقض (الفيتو) لمنع تمرير قرار مجلس الأمن ـ الذي أيده الأعضاء الأربعة عشر الآخرون في المجلس ـ المعارض لبناء المستوطنات الإسرائيلية بمثابة الإشارة إلى انهيار أوباما تحت ضغوط اللوبي المؤيد لإسرائيل في أمريكا والواقع أن الولايات المتحدة لم تنقح ولم تراجع سياساتها، حتى مع إقامة ابن مهاجر أفريقي في البيت الأبيض ثم نشأت نظرة أكثر إيجابية لأوباما عندما بدأت الثورات العربية في تونس ومصر البلدين اللذين كانا خاضعين لحكم نظامين مواليين للولايات المتحدة فرغم أن الولايات المتحدة أظهرت في مبدأ الأمر قدراً من التحفظ في القول والفعل، إلا أنها سرعان ما أدركت أن الثورات تعكس حقاً إرادة الشعوب فقررت الانحياز إلى قضية الديمقراطية إن نفس الشعب الذي دعاه أوباما في خطابه من القاهرة إلى السعي إلى الديمقراطية هو الذي قام الآن بالحركة السلمية الأكثر أهمية التي شهدها العالم منذ عقود من الزمان لقد تحرك الشباب العربي أخيرا،

وألقى أوباما وفريقه بتصريحات سلمية لتشجيعهم، في حين أكد بكل وضوح للنظامين المصري والتونسي أنهما لم يعد بوسعهما أن يختبئا وراء الادعاء بأنهما كانا يخوضان حرباً لصالح أمريكا في شمال أفريقيا والواقع أن الانسحاب بعيداً عن الحكام المستبدين دون محاولة اختطاف الثورة أو نسب الفضل إلى أمريكا في اندلاعها كان هو التصرف المطلوب بالضبط فقد كان لزاماً على الشباب العربي أن يكافح بنفسه ولنفسه من أجل الفوز بالحرية وكان كل المطلوب من أمريكا في اعتقاد أغلب الشباب الثائرين هو التراجع عن دعم حلفاء مثل حسني مبارك وغيره من الطغاة العرب.

ولكن في ليبيا كان الاحتياج مختلفا فقد أبدى الشباب في ليبيا نفس الطاقة الثورية التي رأيناها في القاهرة وتونس، ولكن في هذه المرة كانت أمريكا عاجزة عن بذل الكثير من الجهد على الصعيد الدبلوماسي حيث لم تربطها أي علاقة بالعقيد معمر القذافي ولم يكن من المستغرب إذن أن تصطدم طاقة الشباب الليبي بميل القذافي إلى الوحشية، والأكثر من هذا أهمية، اصطدام هذه الطاقة بالمرتزقة الذين جلبهم القذافي. وكانت أمريكا تتحمل المسئولية الأخلاقية عن حماية الشباب الذين شجعهم أوباما أي أن نوعاً آخر من المساعدة كان مطلوبا، ولكن اتخاذ القرار بشأن الشكل المطلوب من المساعدة كان معقدا ففي ليبيا يعمل

مئات الآلاف من مواطني البلدان العربية، وخاصة من مصر ولقد اعتبرت حكومات هؤلاء المواطنين أنها أصبحت رهينة بين يدي القذافي ولكن ما عجزت البلدان العربية عن الإتيان به على الصعيد العسكري، كانت قادرة على القيام به من خلال توفير الغطاء السياسي للتدخل العسكري تحت قيادة الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا.

وكانت البلدان العربية التي لا يعمل في ليبيا أي من مواطنيها أول من سارع إلى إدانة القذافي ثم التقت جامعة الدول العربية لتحذو حذو دول الخليج ومع تظاهر الشباب العربي الغاضب من دول مختلفة خارج مقرها في القاهرة ومطالبتهم بدعم أخوانهم في ليبيا، اتخذت جامعة الدول العربية موقفاً غير معهود حيث وافقت على إدانة زعيم عربي ومن الواضح أن العالم العربي أصبح في سبيله إلى التغير، وعلى نحو مفاجئ لم تعد الولايات المتحدة عدواً، بل أصبحت صديقاً للعرب.

أمريكا والثورة المضادة

يرى أكاديمي أمريكي بارز أن ثورة مصر تبرهن على أن عدم وجود تنظيم سياسي وطني يتيح الفرصة للأحزاب والشخصيات النيوليبرالية والمعارضة التقليدية أن تحل محل النظام الذي سقط وتستكمل سياساته ويؤكد جيمس بتراس في كتابه تحت عنوان الثورات العربية، والثورة

المضادة أمريكية الصنع أن هذا المسار يعمل على استمرار خدمة المصالح الإمبريالية والرجعية والصهيونية والاعتماد على جهاز الدولة القائم والدفاع عنه وأن الحركات الجماهيرية التي أجبرت مبارك على التنحي برهنت على قدرة الحركات المدنية على الحشد لكنها من ناحية وبسبب عدم وجود قيادة موحدة لهذه الحركات أتيح لقادة الجيش الإمساك بالسلطة وإدارة العملية السياسية بعد مبارك، بحيث ظلت تبعية مصر للولايات المتحدة قائمة مع حماية الثروة غير المشروعة لمبارك وعائلته ومعها أيضا ممتلكات النخب العسكرية .

ويشدد بتراس على أن الثورة المصرية لم تكن نتيجة عمل منظمات المجتمع المدني الممولة من قبل مؤسسات أمريكية كما يجري الترويج لذلك، بهدف تشويه محتواها الجماهيري، مؤكدًا أن ما حدث على أرض الواقع هو أن الثورة الجماهيرية في مصر تخطت بمطالبها نمط البدائل التي تعدها المنظمات الحقوقية الممولة من مؤسسات أمريكية والدليل على أن الثورة التي حدثت بالفعل لا تعكس النوايا الأمريكية هو تأرجح مسئولي أوباما وصراعاتهم حول ما إن كان من الجائز دعمها أو التمسك بمبارك حيث تم التعامل مع رجاله حتى اللحظات الأخيرة ويكشف الكتاب عن اتصالات أمريكية جرت مع عمر سليمان بأمل الحفاظ على نظام مبارك حتى الساعات الأخيرة التي سبقت تنحيه.

وأن نجاح الحركات الثورية في مصر وتونس كشف عجز جهاز الموساد والمخابرات الأمريكية بسبب فشلهما في التنبؤ بما جرى، ربما لاعتمادهم على تقارير أجهزة الأمن المصرية التابعة لنظام مبارك والتي لم تكن هي الأخرى قادرة على تقييم مايجري بدقة كما أثبت نجاح التحركات الجماهيرية زيف فكرة أن الحكام المستبدين القامعين الذين يتلقون مليارات الدولارات هم الضمان الأفضل للمصالح الأمريكية، ويكشف الكتاب أن الفشل الاستخباراتي في تقدير حجم الغضب الذي أدى إلى سقوط مبارك أدى إلى تعقد جهود واشنطون وتل أبيب في التضحية بنظام مبارك الاستبدادي ونتيجة لهذا الفشل تطلعت الإدارة الأمريكية إلى قيادات المجلس العسكري للإمساك بالسلطة ودعمتهم لأسباب هدفها استباق مزيد من تطرف مطالب الثوار والأسباب الحقيقية للثورات العربية تعود إلى التناقضات الطبقية الهائلة التي سببها الاقتصاد الريعي الذي تتحكم فيه الطبقة السياسية أو العشيرة،وتعمل من خلاله على تهميش الشباب حديثي التخرج وحصرهم في إطار الوظائف منخفضة الدخول .